مرضى الخدار لا يفرقون بين الحلم واليقظة

النوم أشبه بركوب قطار ألعاب دوّار حافل بالمتغيرات

حالة: اشكال متخيلة للاحلام والشعور الواقع عند النوم

وقت: الاحلام خارج الوقت عند النوم

لندن - ستيفين داولينغ

أقف خارج المدرسة الابتدائية التي التحقت بها في فترة الطفولة؛ تحديدا قرب البوابة الأمامية ومرأب سيارات المدرسين، في يوم مشمس، وحولي زملائي في الصف، ويزيد عددنا حتما على المئة.

وبداخلي شعور غامض بأن بعضا من مدرسيّ قريبون مني، لكن اهتمامي منصبٌ على شخصيْن بالغيْن لا أعرف أيا منهما.

أحدهما رجل رأيته بتفاصيل واضحة بل صارخة أيضا، من اللمعان المتوهج لشعره وصولا إلى العدسات ذهبية اللون لنظارته الشمسية. ويحمل الرجل جهازا ما يطلق صرخة حادة. سقطت على ركبتي ويداي فوق أذنيْ. وكل زملاء صفي فعلوا مثلي. لينطلق الرجل في ضحك جنوني.رأيت هذا الحلم قبل نحو أربعين عاما، لكنني ما زلت قادرا على تذكر تفاصيله، كأنني رأيته أمس. رغم ذلك، فإذا طلبت مني تذكر أيٍ من تفاصيل حلم رأيته قبل أيام، سأعجز عن ذلك تماما.وعندما أحلم فلا شيء من هذه الأحلام يعلق بذاكرتي بقدر كاف لأن أتذكره عند الاستيقاظ.

وبالنسبة للكثيرين مثّا، فإن الأحلام شيء غير ملموس تقريبا. وإذا حالفنا الحظ، يمكننا تذكر لمحة عابرة لا أكثر منها في ضوء النهار. وحتى أولئك الذين يتمكنون من تذكر أحلامهم بتفاصيل مدهشة، قد يصحون من نومهم في بعض الأيام، ولا يتذكرون شيئا عما حلموا به خلال الليل.

لكن أسباب رؤيتنا للأحلام وتحديد ما إذا كنا سنستطيع تذكر تفاصيلها أم لا، تكمن كلها في المنظومة البيولوجية التي تحكم نوم أجسادنا والعقل الباطن لكل منّا.

على أي حال، لا بد من الإشارة إلى أن النوم أكثر تعقيدا مما كنا نحسب. فبدلا من أن يكون بالنسبة لعقولنا بمثابة مرحلة من اللاوعي تدلف إليها هذه العقول وتخرج منها؛ فإنه بالنسبة لنا يبدو أشبه بركوب قطار ملاه دوار حافل بالتغيرات الذهنية، بعضها يكون غاصا بالنشاط العقلي.

رؤية احلام

وترتبط رؤية الأحلام بشدة بمرحلة النوم المعروفة باسم "نوم حركة العين السريعة"، والتي تُعرف أحيانا باسم "النوم غير المتزامن" وذلك لأنها تتضمن ملامح تحاكي تلك التي تتسم بها مرحلة الصحو والاستيقاظ. وفي هذه المرحلة من النوم، ترتعش العينان بسرعة، وتحدث تغيرات في التنفس والدورة الدموية، ويدخل جسد النائم في حالة شلل تُعرف باسم "أتونيا" باللاتينية و"الوَنَى" بالعربية. وتحدث هذه المرحلة على موجات تدوم كل منها نحو 90 دقيقة خلال النوم، وتميل عقولنا خلالها إلى تكوين الأحلام.

وفي مرحلة "نوم حركة العين السريعة"، تتدفق كميات إضافية من الدماء على مناطق حيوية من المخ، من بينها منطقة القشرة التي تُفعم أحلامنا بتفاصيلها، وكذلك منطقة "الجهاز الحافي" أو "الجهاز النطاقي" الذي تتم فيه معالجة حالتنا الشعورية. وعندما نمر – ونحن نائمون – بهذه المرحلة التي تشهد أحلاما على الأرجح، يندلع نشاط كهربائي عارم في الدماغ. أما الفص الجبهي – الذي يوجه مَلَكاتنا وقدراتنا الحيوية – فيبقى ساكنا.

ويعني ذلك أننا نتقبل بشكل أعمى – في هذه الأوقات – ما يجري خلالها من أحداث لا معنى لها على الأغلب، إلى أن يأتي وقت نستيقظ فيه من النوم.

المشكلة تكمن في أنه كلما كان ما يدور في أحلامنا مختلطا ومائجا بالخيالات، ازدادت صعوبة إدراكه والاحتفاظ بتفاصيله. أما الأحلام ذات البنية الأكثر وضوحا، فيسهل علينا تذكرها بشكل أكبر، كما تقول ديدري باريت الأستاذة في علم النفس.لكن الأمر لا يخلو من مركب كيمياوي، يشكل وجوده أمرا حيويا لضمان الإبقاء على تفاصيل الأحلام في الذاكرة، وهو عنصر يُعرف باسم نورادرنالين. ويمثل هذا العنصر هرمونا يهيئ الجسد والعقل للعمل والحركة، وتقل مستوياته لدينا – بشكل طبيعي – حينما نكون غارقين في نوم عميق.

وتقول فرانشيسكا سيكلاري، طبيبة وباحثة في مجال النوم في مستشفى جامعة لوزان، إن هناك حدودا واضحة تفصل بين الحالات التي نمر بها خلال اليقظة وتلك التي نشهدها أثناء النوم، مشيرة إلى أن ذلك ليس من قبيل المصادفة. وتؤكد أنه من الجيد على الأغلب أن "تكون حياة الحلم وحياة اليقظة مختلفتين تماما عن بعضهما بعضا".وتضيف: "أعتقد أنك إذا تذكرت كل التفاصيل مثلما يحدث وأنت مستيقظ، فستبدأ في خلط الأشياء (التي تراها في أحلامك) مع تلك التي تشهدها حياتك الواقعية".

وتقول إن من يعانون من اضطرابات النوم، مثل ما يُعرف بـ "الخُدار"، يمكن أن تصعب عليهم التفرقة بين ما يجري لهم خلال اليقظة وما يرونه في أحلامهم أثناء النوم، ما قد يجعلهم يشعرون بالارتباك والحرج كذلك. وتضيف أن "هناك من يتذكرون أحلامهم بشكل أفضل من اللازم، وهم يبدؤون فعليا في جلب ذكريات تلك الأحلام" إلى حياتهم الواعية خلال اليوم.

وليس من قبيل المصادفة أيضا أن تكون الأحلام التي نتذكرها على نحو أكبر، هي التي تحدث في فترات بعينها من دورة النوم لدينا، تلك التي تتأثر بمواد كيمياوية تتدفق في أجسادنا النائمة. وتقول سيكلاري: "عادة ما تحدث أكثر أحلامنا وضوحا لنا، خلال مرحلة التي 'نوم حركة العين السريعة ' يكون فيها مستوى مادة نورادرنالين متدنيا في المخ".

المفارقة أننا قد نحلم في الفترة السابقة مباشرة لاستيقاظنا من النوم، لكن ما نقوم به من أنشطة صباحية بشكل روتيني، يحول في الواقع دون أن نتذكر تفاصيل هذه الأحلام.ومن بين العوامل التي تزيد من صعوبة تذكرنا لهذه التفاصيل، كوننا نستيقظ من نومنا في الأغلب على صوت جهاز مُنَبِه، وهو ما يؤدي إلى ارتفاع كبير في مستويات الـ "نورادرنالين" لدينا.

ويتبنى هذا الرأي روبرت ستيكغولد، باحث في مجال النوم بكلية هارفارد للطب، الذي يقول: "يسألني بعضهم عن سبب عجزهم عن تذكر أحلامهم، فأجيبهم بالقول إن ذلك يحدث لأنهم يستغرقون في النوم بسرعة أكبر من اللازم، وبعمق أكثر من اللازم، ويستيقظون على صوت المُنَبِه، ويكون رد فعلهم عادة متمثلا في القول 'كيف عرفت هذا؟!'." ويضيف أن الكثيرين يتذكرون الأحلام التي يرونها في الفترة الأولى من النوم، حينما تبدأ عقولهم في الشرود والانفصال عن الواقع تدريجيا، وتتراءى لهم الأطياف الشبيهة بما يرونه في الأحلام، خلال اقترابهم من مشارف النوم أو ابتعادهم عنه. ويطلق على ذلك اسم "فترة الأحلام الشبيهة بالهلاوس".ويضيف أنه أجرى دراسة قبل سنوات، تم فيها إيقاظ أفراد العينة من الطلاب في المختبر، بُعيد بدئهم الدخول في هذه المرحلة من النوم، وكانت النتيجة أن "كلاً منهم تذكر ما رآه في أحلامه".

نوم عميق

وتابع: "هذه المرحلة تتمثل في الدقائق الخمس أو العشر الأولى من النوم. إذا غرقت في نوم عميق – على الشاكلة التي نتمناها جميعا – فلن تتذكر شيئا مما رأيته من أحلام خلال هذا الجزء من دورة نومك".

لكن ماذا إن كنت ترغب في أن تتذكر أحلامك؟ هناك نصائح عامة ربما تساعدك على ذلك، بالرغم من تسليمنا بأن لكل شخص نائم طبيعة مختلفة عن أقرانه.

ويقول ستيكغولد: "تتسم الأحلام بهشاشة لا تصدق في المرحلة التي تلي الاستيقاظ مباشرة، وهو أمر لا نعرف له سببا. فإذا كنت من أولئك الأشخاص الذين يقفزون من الفراش وينخرطون في ممارسة شؤون يومهم، فلن تتذكر أحلامك. عندما تنام لوقت أطول صباح يوم العطلة الأسبوعية، يمثل ذلك وقتا ممتازا لتذكر هذه الأحلام".

ويشير إلى أنه يقول لطلابه: "عندما تستيقظون من النوم حاولوا البقاء في وضع الاستلقاء، ولا تفتحوا أعينكم حتى. حاولوا أن تشعروا بأنكم في وضع 'الطفو' وبالتزامن مع ذلك حاولوا تذكر ما رأيتموه في أحلامكم. ما تفعلونه في هذه الحالة هو استعادة الأحلام واستعراضها في الوقت الذي تدلفون فيه إلى حالة اليقظة، وعندئذ ستتذكرونها تماما كأي ذكرى أخرى".ويضيف ستيكغولد أن هناك طرقا ذات فرص مؤكدة بشكل أكبر للنجاح على صعيد تذكر الأحلام، تتمثل في شرب ثلاثة أكواب كبيرة من الماء قبل أن يأوي أحدنا إلى فراشه، محذرا من احتساء الجعة مثلا بدلا من ذلك، وذلك لأن الكحول من المواد المثبطة للدخول في مرحلة "نوم حركة العين السريعة".ويشير إلى أن تناول هذه الكمية من الماء، سيجعل المرء يستيقظ ثلاث أو أربع مرات خلال الليل، ومن المرجح أن يحدث ذلك، في نهاية كل موجة من موجات "نوم حركة العين السريعة".وهناك نصيحة أخرى يسديها بعض الباحثين في مجال النوم، تتمثل في أن تكرار المرء لنفسه وهو يستغرق تدريجيا في النوم أنه يرغب في تذكر أحلامه، يعني أنه سيستيقظ وهو يتذكر هذه الأحلام بالفعل.وفي تعليقه على هذه النصيحة، يقول ستيكغولد ضاحكا: "إنها تؤتي أُكلها بالفعل. إذا فعلت ذلك فستتذكر أحلاما أكثر".

اقرأ بأسم ربك ولو مرة

من بين كثير من الاحتمالات، التي تحدثت الروايات فيها عن وجود محمد، في غار حراء، لم يتم التركيز على احتمالين، ان محمدا كان يقرأ شيئا مكتوبا، دون بسملة، فكان ان هبط الوحي بقول، يفصل للبسملة، ولقضايا كانت تؤرق الفكر الباحث عن مصدر الخلق والعلوم، فكانت" اقرأ بأسم ربك الذي خلق"، والاحتمال الثاني، ان الله اختار، القول بالاية الاولى، ليعلن رسوله تقديم عنوان عقيدة تفصيلة، عنوانها تجديد التوحيد.

لن افصل ولا افاصل في مسألة ان محمدا كان يقرا و يكتب، ام لا، فكلمات الله تقول له أقرأ، ولم تقل له اسمع، و لا ردد، لكن ضغط الزمان و استقرار منقول القصص في الوجدان، منعا الاقتراب لكثير من المعاني الحقيقية في رسالة محمد وغيره من الرسل والانبياء.

يتضح من كل نص سماوي انه يحترم العقول، ويداري الشعور، لكن القصص اغلبها، تحرك الشعور، و تؤجل احترام العقول، والا فما كان يصح لقصص، وهي ظنية الوقوع، ولا اقول ظنية الدلالة، بحيث تتجنى على واجب الوحي، فتصوره يكاد يخنق النبي ليفهمه الرسالة، علما ان النص يضم كلمات هي، اقرأ، اسم، رب، خلق، انسان، علق، اكرم، علّم، قلم، وهي كلمات لا تستدعي من مرشد ليكون عنيفا، فكيف بوحي؟.

لا يخفى تأثر القصص الاسلامي، المدون لاحقا، و المدون اصلا متأخرا، عن نقل شفاهي، بما تحفل به الثقافات القومية والاذهان ذات العقائد القديمة، وشواهد ذلك في القصص، اكثر من ان يعد، حتى صار الظني الدلالة عند عوام الناس يغالب القطعي!.

ويمكن ملاحظة انه بأستثناء بعض قراء القران الذين شكلوا روابط لهم بأعتبارها حرفة مكرمة، فأن رجال الاديان، يحفظون القصص، دون حاجة للقراءة من كتاب امام الناس، لكنهم ان ارادوا القراءة من الكتب المقدسة، اخرجوها و قرأوا منها، في مؤشر لعدم حفظهم، او لعدم ثقتهم بحفظ لا تتفلت منه كلمات!

سبب ذلك سياسي ايضا، فمنذ، ان تم تصوير الرسالة، على انها دعوة لبناء دولة، حتى بدأ التنافس عن احقية "من"بالحكم على حساب" من" اخر، واقول ان هذا هو تاريخنا، او هذه هي قصصنا فلنقرأ دون خجل.

نعم، يخاطب الكتاب، الانسان، الفرد، و الجماعة، بتقديم عن خالق واحد، بلغة عربية، مثلما خاطب انبياء سابقين، بلغة اقوامهم، لكننا وجدنا القوميين، يرون الله يختار لغة لاسباب تمجيد قومي، وتلك عنصرية تجعل الاخر ينفر، فبدل ترجمة النص، او ترجمة فحواه، يضطر غير العربي لترديد الكلمات، التي تخلق تعاطفا بعد اجيال، لكن حسب فهمه.

هذا في وقت يعاني فيه اغلب العرب من عدم اتقان لغات الغير، بل ليس كل العرب يعرفون كل معاني لغتهم، فهذا عبدالله بن عباس، يقول: ماكنت اعرف ماتعني كلمة فاطر، حتى تخاصم اعرابيان على بئر، فعرفت المعنى!.

ومنذ انطلقت الدولة العربية التي جمعت القبائل للتوسع– طبعا هي ليست دولة بما نعرفه الان عن معنى و شكل و مضمون الدولة– حتى اعطت و اخذت من ثقافات بشرية مجاورة لها او بعيدة، وان كان لنا ان نفخر ام كان فرضا علينا ان نفتخر، بقصص الفتوحات، والايمان بما يحلو للقصاصين ان يسطروه، افلا يجب ان نتخيل حال تلك المجتمعات التي قطعا لم تواجه جيوشا كلها على شاكلة عمر او علي، فليست كل المجوعات العقائدية والقومية، مستعدة للتسليم بواحدة من ثلاث، الاسلام، الجزية، او الحرب!.

تلك استفادة السلطة من توظيف الرسالة، و التي ابرزت نصوصا وتركت نصوصا، مثلما يبرز الحاكم نص الطاعة من القران، لكنه يترك نصوص اداء حقوق الامة، فيبرز الفقر، ويسود الظلم.

ولا انسى دور الدخلاء من محترفي التدين، اصدقاء السلطة، او المتخذين من النص، منهاج عمل معارض للوصول للسلطة، الذين يبرزون نصوص رد الظلم، فيحرقون الناس في حروب تنتهي بسلامة المعارض، وتشكيل طبقة ملاك من العائلة!

الغريب ان رجال السلطة و رجالا من العاملين في التوعية الدينية، لا يرتدعون عن وصف السلفية الجهادية بأنها لم تفهم الدين!.

السبب في القصص، القصص التي تجرأت على الله، فقالت انه ينسخ كلامه، رغم ان النسخ ليس للنص، اوهل يتراجع الله عن كلامه؟ والقصص التي تجرأت على جبريل، الذي يقول عنه بعض اهل التوراة انه يكرههم، و يقول عنه قصاصون انه حال دون انتحار النبي!.

ومع ذلك، فيقال عن السلفية انهم مارقون، على اساس ان غيرهم مارق قبل و لا مرق بعد، و لا يمرق و سيمرق لاحقا.

اقرأ، هي عنوان و دعوة وامر، لتشغيل العقل، بما يقبله الله من عمل. عمل يعطي الرسالة السماوية مكانا بين الناس يجعلها محل اقبال لا نفور، ومحل مرضاة من الله، لا جزاء الى سعير، الى حياة تقوم على الكفاية لا الكفاف، و الحرية لا التقييد، والعلوم الحقيقية لا الشعوذة، و الصدق لا الكذب، والامان لا الخوف، وان لا تكون الجالية الاسلامية مثلا، هي الاكثر لجوءا الى دول لا اسلامية!

وان لا يتلقى السلطان و شيوخ الرحمن– حاشى الرحمن– العلاج هناك، بينما يفنى احفاد سلمان الفارسي و ابي ذر من الحرمان.

بسم الله الرحمن الرحيم

(ارأيت ان كذب وتولى، الم يعلم بأن الله يرى)

صدق الله العظيم.

شامل حمد الله بردان

أربيل

شكراً طلبة طب الفلوجة

في عمودي اليوم سأكتب عن واحدة من الحكايات الكثيرة التي عشتها من خلال عملي كمدرس جامعي تنقل بين أكثر من جامعة سواء كطالب أو كتدريسي،بعض هذه القصص ستأخذ مكانها في كتاب قادم والبعض سأكتبها هنا لأشير فيها الى حالة صحية تستوجب التوقف عندها والاشارة اليها. ففي هذا العام شاركت في تدريس مادة التشريح المقررة لطلبة المرحلة الثانية في كلية طب الفلوجة التي تبعد عن محل اقامتي أكثر من ستين كيلو متراً، ولا أخفيكم أنني توجست خيفة من الطريق ومن سيارتي التي في كل مرة أبيعها وأتخلص منها،أتفاجأ بها بباب بيتي في ثاني يوم!!. المهم بعد أن أخترت يوم الثلاثاء من كل اسبوع موعدا للدرس،كان يتوجب عليّ الخروج مبكرا من البيت تحسبا لأي طارئ،وفعلا وصلت في اول أسبوع قبل وقت الحصة الأولى بخمس وأربعين دقيقة،ولما دخلت المختبر تفاجأت بوجود عدد من الطلاب يحتلون الصف الاول لمقاعد الجلوس،وقلت قد أكون اخطأت في مكان المحاضرة،ولكن الطلاب اشاروا لي أنهم بانتظار محاضرتي وقبل وقت طويل من موعدها!!،وهنا أود أن أشير الى أن طلاب طب الفلوجة كانوا السبب في تغيير نظرتي السلبية للطالب العراقي الذي يشتهر بحضوره المتأخر الى المحاضرة.

وللأمانة أقولها فقد أبهرني موقفهم،حينما عبّروا عن احترامهم للوقت وشغفهم واندفاعهم للتعلم وحسن إنصاتهم لكل حرف أقوله ولمست منهم بحثهم الدائم عن كل معلومة جديدة،بل وزاد إعجابي بهم و شعرت بفرح غامر حينما تأخرت في احدى المرات عن موعد الدرس بسبب عطل سيارتي،لأتفاجأ بدكتور أنس مقرر فرع التشريح يهاتفني ليبلغني أن الطلاب لم يقطعوا الأمل بحضوري رغم تأخري عن موعد الدرس ساعتين!. شكرا دكتور ثائر رئيس فرع التشريح الذي يُذكرك بالأطباء الانكليز حينما تراه بأناقته المعهودة وتوقيتاته المضبوطة... شَكرا دكتور أنس ودكتور عامر اللذان وفرا كل شئ ... شكرا لكل طلاب وطالبات المرحلة الثانية وأنتم تضربون أروع الامثلة بحسن الخلق وأتمنى لكم النجاح الباهر،وعسى أن أراكم من أفضل أطباء المستقبل،ولكن بعيدا عن جسمي وأعضاءه!!.

محمد علي شاحوذ

الرمادي

تواريخ

بمناسبة ثورة العشرين في الثلاثين من حزيران

الطوب أحسن لو مكواري

عادل عبد الزهرة شبيب

بغداد

معنى الاهزوجة هل المدفع الانكليزي أفضل من عصاي الخشبية ذات الرأس المطلي بالقار (المكوار)،وقد ردد ثوار العشرين عند قنطرة الرارنجية أهزوجة (الطوب أحسن لو مكواري) بعد أن غنموا مدفعا بريطانيا بواسطة المكوار .كانت ثورة العشرين ثورة شعبية شاركت فيها كل فئات المجتمع من عمال وفلاحين وكسبة ورجال دين ومثقفين من كل انحاء العراق من الشمال الى الجنوب. وهي ثورة الفلاحين والبدو ضد الاقطاع حيث الصراع بينهما. وفي هذه الثورة أدرك العراقيون أهمية مقاومة المحتلين والغزاة وأهمية التكاتف والتلاحم ووحدة الصفوف. لقد كانت هناك أسباب عديدة في اندلاع الشرارة في الثلاثين من حزيران 1920 منها سياسية واجتماعية واقتصادية ونود التركيز هنا على الجانب الاقتصادي في هذه الثورة. الجوع والظروف الاقتصادية والمعيشية وراء هذه الثورة وتأججها 'اذ فرض المستعمرون البريطانيون الضرائب على الشعب العراقي والتي أثقلت كاهل الفقراء ،وكان للضرائب الزراعية أثرها السلبي على الفلاحين وعلى الانتاج الزراعي عموما الذي تميز بانخفاضه وارتفاع اسعار المحاصيل الزراعية،وان لجوء الجيش البريطاني المحتل الى استهلاك الانتاج الحيواني والنباتي في ظل انخفاض الانتاج ادى الى تعرض الناس للجوع وانتشار القحط وكان ذلك احد الاسباب التي ادت الى كره البريطانيين. الى جانب ذلك فقد اعتمد البريطانيون (السخرة) وهي العمل المجاني لاستغلال الايدي العاملة في انجاز المشاريع العسكرية البريطانية. لقد احتلت الزراعة في العراق مكان الصدارة في اقتصاد البلاد في حين كان الانتاج الصناعي ضئيل جدا،وقد ادت ادارة الدولة العثمانية السيئة للعراق الى تخلف الزراعة وهبوط الانتاج واهملت مساحات شاسعة من الاراضي الزراعية التي غزتها الرمال والاملاح الى جانب انهيار منظومة الري وحدوث الفيضانات التي الحقت بالعراق خسائر فادحة . كانت معظم القبائل العراقية وبضمنهم البدو تشكو الفقر المدقع وتحول الكثير من البدو الى رعاة للماشية العائدة للشيخ ولأغنياء القبيلة وبذلك اصبح افراد القبيلة خاضعين اقتصاديا للشيخ الذي ازدادت موارده. اما بالنسبة للإنتاج الحرفي فقد تعرض للخراب ،وادى خضوع العراق لسيطرة الدولة العثمانية والتي امتدت لأربعة قرون الى تكريس النظام الاقطاعي وعرقلة التجارة والصناعة والحرف والزراعة،واثقلت المواطنين بالضرائب المختلفة ،وعند دخول الاستعمار البريطاني العراق عام 1914 واحتلاله له سعى الى تحويله الى منتج للمواد الاولية وجعله تابعا للدول الرأسمالية والسوق التجارية العالمية. تطورت بشكل محدود بعض الفروع الانتاجية لتلبية احتياجات السوق المحلية كإنتاج الاقمشة ومواد البناء وصناعة السجاد والصباغة وتعبئة المنتجات الزراعية لأغراض التصدير واعمال الحدادة والسراجة والنقل ، وبذلك فقد تم تأسيس عدد من المعامل الصغيرة في مختلف انحاء البلاد.

اجور العمال

كانت اجور العمال منخفضة مع وجود عدد كبير من الفلاحين المعدمين المحرومين من الارض والمستعدين للاشتغال في اي عمل ،اضافة الى استخدام الاطفال والنساء في المؤسسات الصناعية بأجور اقل مما يتقاضاه العمال البالغون ،كان الاستغلال بشعا للغاية في ظل انعدام السكن الانساني المناسب. الى جانب ذلك فقد وضع الرأسماليون الانكليز ايديهم على التجارة الخارجية وشبكة المواصلات في العراق وحولوا العراق الى سوق لتزويد الصناعة البريطانية بالمواد الخام. وساهمت احداث الحرب العالمية الاولى في زيادة تأزم الوضع الاقتصادي في العراق وفرض اعمال السخرة المرهقة على المواطنين وبإلزامهم عنوة على الخدمة في الجيش. وعمل الانكليز على خنق الصناعة الوطنية والحرف المحلية وتوطيد السيطرة الاقتصادية الكاملة لرأس المال البريطاني المحتكر،وسعى الى الحفاظ على نظام الانتاج الاقطاعي واستعباد الشعب العراقي،واشاعة البؤس والفاقة في اوساط جماهير الشغيلة واهدار حقوقها . ولم يكن بوسع السياسة البريطانية تلافي مقاومة الجماهير الشعبية في البلاد وفي مقدمتها الفلاحون والبدو الذين كانوا يمثلون القوة الرئيسة للحركة الوطنية التحررية حيث امتزج نضال الفلاحين ضد الاستبداد الاستعماري البريطاني بنضالهم ضد الاستغلال الإقطاعي. أما بالنسبة للطبقة العاملة العراقية فكانت عندئذ قليلة العدد وضعيفة سياسيا ولم تكن تملك اي نوع من التنظيم،وهي عاجزة عن القيام بدور قيادي مستقل وملحوظ مع انها ساهمت مساهمة فعالة في الحركة الوطنية التحررية ضد المستعمرين،كما لم يكن بوسع البرجوازية العراقية قيادة الحركة الوطنية التحررية لأنها كانت ضعيفة من الناحيتين الاقتصادية والسياسية. لقد قاومت الجماهير الشعبية في العراق السياسة الاستعمارية للمحتلين منذ الايام الاولى للعدوان البريطاني على العراق فامتنعت عن دفع الضرائب ورفضت. بإصرار القيام بأعمال السخرة المفروضة عليها ولم تعترف بسلطة المحتلين وهاجمت الفصائل الوطنية الصغيرة الوحدات العسكرية البريطانية التي ارسلت لجمع الضرائب والاستيلاء على المواد الغذائية والمواشي. كما قامت الجماهير بانتفاضات عديدة ضد الانكليز في النجف والكوفة وابو صخير عام في النجف 1918وانتفاضة عام 1917 وانتفاضة القبائل الكردية عام 1919 حول العمادية وانتفاضات رانية وراوند وز. وكنتيجة لتصاعد الحركة المعادية للاستعمار في الدول المستعمرة فقد اضطر المستعمرون التخلي عن خططهم السابقة بالحاق العراق بالمستعمرات البريطانية. ان ثورة العشرين هي ثمرة لنضال طويل خاضه الشعب العراقي ضد الاستعمار البريطاني.

تصعيد النضال

وكان للوضع الدولي في نهاية حزيران أثر كبير في تصعيد النضال 1920 التحرري لشعبنا حيث نجاح ثورة اكتوبر الاشتراكية وفضحها للمعاهدات الاستعمارية مثل سايكس- بيكو وغيرها ،الى جانب اتساع الحركة المعادية للحرب والاستعمار في مختلف اوساط الشعب البريطاني المستاء من السياسة الاستعمارية لبلادهم. وبالرغم من استعداد الجيش البريطاني عسكريا لخنق الحركة الوطنية في العراق ،وبالرغم من تسليحه بأحدث الاسلحة الفتاكة ،الا أنه لم يستطع التغلب على مقاومة الشعب العراقي الذي امتاز بروح نضالية عالية،وانطلقت شرارة الثورة في الثلاثين من حزيران عام 1920على اثر قيام الضابط البريطاني في الرميثة باعتقال الشيخ شعلان ابو الجون زعيم عشيرة الظوالم بسبب امتناعه عن دفع ضريبة الارض للسلطات الاستعمارية ومن ثم قيام افراد مسلحين من قبيلته باقتحام السجن واطلاق سراح الشيخ السجين وما لبثت الثورة ان عمت الرميثة برمتها وانتشارها الى المناطق الاخرى من العراق. لقد استأثرت ثورة العراق باهتمام الرأي العام العالمي والقوى التقدمية،وقد ضاعف موقف الرأي العام العالمي من ثقة الشعب العراقي بالنصر وزاد من تصميمه على المضي من أجل تحرير بلاده. واليوم نحن بأمس الحاجة لاستلهام الدروس والعبر من ثورة العشرين في توحيد صفوفنا ونبذ الخلافات من اجل دحر داعش وكل قوى الارهاب واعادة اعمار المدن التي دمرها داعش باحتلالها واعادة النازحين الى ديارهم واستلهام المآثر البطولية للفلاحين وسكان المدن أثناء الثورة للاستمرار في النضال من اجل تحقيق التقدم الاقتصادي – الاجتماعي .

مقاتلون من العشائر في القتال ضد القوات البريطانيةش